حارة طحير

عادل إدريس المسلمي

الكتاب : حارة طحيمر (أدب ساخر)
المؤلف : عادل إدريس المسلمي
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٤
رقم الإيداع : ٢١٠٤/ ٢٠١٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 177- 2

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(+٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(+٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : ياسمين عكاشة



حارة طحير

(حكايات بردانش العايق)

قصص ساخرة

عادل إدريس المسلمي

إهـــداء

إلى ناس مصر المحروسة الطيبين

إلى عائلتى الحبيبة

إلى كل من أكن لهم كل حب وتقدير

إلى كل من شارك في إخراج هذا العمل

(عيش - حرية - عدالة اجتماعية)

من الواضح أن الشعارات تُكتب ونهتف بها...

ولكنها تضيع سدى في مهب الريح.

فقد كُتب علينا أن نعيش لننقب عن أقل القليل من رغد العيش.



أعرَّفكم بنفسي...

أنا "مرداش عليوة النني" وناس الحارة بينادوني "مرداش العايق" وده علشان مهتم بتسريحة شعري، ودي الحاجة الوحيدة اللي طلعت بيها من الدنيا، لسه بحالته حتى لما أبّيض ما شاء الله لسه بخيره... والنبي تمسك الخشب.

ما فيش حاجة شغلاني، أصحى بدري أفتح الشباك أنادي على الواد سعد بتاع الفول؛ ما هو عربيته قدامي؛ على طول يروح مناولنى طبق مخصوص ورغيفين وبصلة وقرن فلفل؛ وحسب الجو لو بارد يبقى بزيت حار ولو سخن يبقى بزيت عادي، ولو إنه واد وسخ ما تعرفش الزيوت اللي بيستعملها دي بيجيبها منين ولما سألته مرة قالي : دي أصلية، بس مش أي حد يستطعمها وأدينا بناكل وعايشين!...

أخلَّص على طبق الفول، وأنادي على "الواد دسوقي" صبي قهوة "المعلم حناطة" يناولني كوباية شاي كشري أقربعها.

يعني شغلتي الوحيدة هي قعدتي في الشباك أبص على اللي داخل واللي خارج من الحارة، وده يصّبح وده يمَّسي، وده يسألني عن فلان، وده يقولي على علان.. ولو عايز تعرف امتى النملة دخلت وخرجت من الحارة؛ أقول لك.

نسيت أقول لكم إن حارتنا اسمها "حارة طحيمر"، تسألني ليه سموها كده؟ أحلفلك والله ما أعرف، طلعت لقيت اسمها كده، وما فيش حد في الحارة يعرف، حتى لما سألت "عم شحتة أرأر" الله يرحمه -وده كان أكبر واحد في الحارة- قالي إنه طلع لقى اسمها كده ولا حتى جده كان يعرف ليه سموها كده... يعني هي جت على اسم حارتنا ما ياما شوارع وحارات وزقاقات أساميها منيلة بنيلة.

• • •

▪ جولة ع السريع بالحارة

ودلوقتي ها أخدكم جولة سريعة داخل الحارة علشان تتعرفوا عليها...
على فكرة حارتنا من أكبر الحارات الموجودة بمصر المحروسة طولاً وعرضًا، وعدد سكانها نص الحي اللي إحنا فيه، علشان

كده ليها صيت وصوت في أي انتخابات، يعني بنفرح أوي لما تهل أي انتخابات وتنتعش الحارة وتلاقي الناس هنا كأنها في عيد!... عيد إيه؟ ده أيام الانتخابات عندنا أهم من العيد يعني بتُفرج، تلاقي الخير نازل علينا زي المطر من زيت وسكر وسمن ومكرونة... تقدر تقول ماسورة تموين انفجرت عندنا ، ده غير النقدية اللي بتترش علينا.

المهم... أول ما تخش الحارة هتلاقي عم دياسطى بتاع المكرونة واقف بعربيته علشان يصطاد اللي داخل أو اللي خارج ويناوله طبق، معاك مش معاك كله على الحساب، ما هو مش ها تعرف تخرج من الحارة إلا لما تدفع الحساب، والحاجة المميزة في مكرونة الدياسطى إن الصلصة بتاعته غريبة وريحتها وطعمها تحتار فيهم، علشان كده لم تخلص على الطبق تحس كأن شوية عيال بيلعبوا ماتش كورة في بطنك... مرة اتشجعت وسألته كان رده: وإنت بتسأل ليه؟ إنت هاتاكل وتملا بطنك، ولا هاتستطعم؟

تسيب عم دياسطى؛ ها تلاقي قهوة حناطة على يمينك، والمعلم جابر حناطة تخصص شاي بمذاق خاص؛ واللي يسأل الشاي ده طعمه متغير ليه؟ يقول له: ما إنت مش متعود على الشاي المستورد، ده شاي وارد بلاد برة... والحقيقة إن المعلم حناطة بيشتري باكو شاي واحد طول اليوم وبيعمل منه خلطة سحرية ولا خلطة الراجل أبو دقن بيضا اللي اسمه "الحاج كونتاكى"...

بعد كده ها تلاقي على نفس الصف دكان المعلم "رزيق الغنَّام" وده الجزار الوحيد في الحارة، ما تعرفش بيجيب لحمته إمتى ومنين، وعمره ما علق حتى ربع عجل على باب المحل، وبجانب المحل عنده فرن عيش حواوشي ما بيشغلهوش إلا بالليل والرغيف بجنيه وأم الحارة تتلم عليه وتسمع صوت البشر : رغيف يا معلم رزيق.. رغيفين علشان مستعجل وحياتك يا معلم رزيق.. عندي عزومة عايز عشر ترغفة... سألته مرة : مش رخيص سعر الرغيف الحواوشى عندك يا معلم؟ بص لي وابتسم بسخرية وقال لي: قصدك علشان برة الحارة بيتباع بخمسه جنيه؟ الناس هنا غلابة وخلي الفقير ياكل وينبسط ودي زكاة المحل.

وبعد دكان المعلم رزيق تلاقي فرن "عرفة الكتف" بتاع العيش البلدي، ما هو ما عندناش في الحارة فرن عيش فينو، ده بيعتبر من المحرمات، وأحيانًا بيدخل الحارة على فترات رغيف ولا رغيفين فينو يكون حد جايبهم زيارة.. عرفه الكتف راجل بيطبق أصول التعاون بين الناس علشان الكل يحصل على رغيف العيش، الرغيف عنده قد قرص الطعمية وزعلان من نفسه... ومرة الواد سعيد اللاسع موسوعة الحارة الثقافية حب يتكلم معاه في الموضوع ده؛ عينك ما تشوف إلا النور؛ شالوه مرابعة وشمموه نار الفرن طلع مش شايف يروح بيتهم...

لما تمشي قدام شوية هتلاقى أجزاخانة عزيز، وهو دكتور الحارة وممكن يبيع لك نُص قرص أسبرين أو نوفالجين ومعلقة دوا كحة ولحسة مرهم وندعة قطرة، وممكن يقسم قرص فياجرا على خمسة وستة؛ يعني على قد فلوسك طلبك موجود ، ساعات بأشوف عنده أدوية من أيام هوجة عرابي ولو حد حب يتفزلك ويسأله عن تاريخ الصلاحية يقوله: أدوية زمان تمنها فيها شغالة على طول.

تسيب أجزاخانة عزيز هتلاقي "سعد الحلاق" ما بيشتغلش إلا في العيدين بس وباقى السنة كل فترة يمر عليه زبون ولا اتنين، علشان كده عامل بترينة سجاير برة المحل، وماكينة الحلاقة بتاعته يقال إنها من أيام الجيش الإنجليزي ولازم يبيتها في الجاز علشان ما تزرجنش منه، والحلاقة عنده بتسعيرة موحدة: جوز جنيهات للشعر وجنيه للدقن ونص جنيه للشنب؛ والدفع قبل الحلاقة.

بعد ما تمشي شوية لقدام ها تلاقي "مجمع البطون"، أطاشة السماك وبجانبة مسمط أنت عمري بتاع المعلم ربيع العربي ولازق فيه طوالى عباس الحُن الفسخاني وعلى الناصية كشري أهل الحارة بتاع المعلم شرشر...

وتلف شمال تكون كده وصلت للحي الراقي بالحارة؛ تلاقي دكان موبيليا الحاجة شربات العتراوي ومحل الواد روكا للموبايلات

وبوتيك دريم للملابس المستعملة، وكوافير زيزي هوبا، ومحل عصير الدندراوي، ومقلة أزأز، وعلى آخر الناصية سنترال "ألو يا أمم".

لغاية كده إنت وصلت لآخر المنطقة الآمنة، ولو حبيت تتمشى شوية لجوه يبقى لازم يكون معاك حد من أهل الحارة؛ كفيل يعني؛ وإلا قول يا رحمن يا رحيم، لأنك لازم ها تعدي على الوسعاية؛ ودي حته فاضية كانت زمان حمَّام بلدي صاحبه قفله علشان ما بيشتغلش، الراجل فتحه وصرف عليه دم قلبه وكل اللي استحموا فيه أربعة، والناس في الحارة جرَّستهم وزفتهم... بيقعد في الوسعاية سعيد شنة وحودة الكشر ومعاهم عبده بلالله والسيد قورة، ودول بيسرحوا بالنهار في أكل عيشهم بيشتغلوا نشالين ويرجعوا يريحوا شوية ويتلموا في الوسعاية يتسلوا في تدخين البانجو... لو عديت بسلام واتكتب لك عمر جديد يبقى ها تشوف العجب هتلاقي "أم إسماعين" بتاعة النداغة، أنصحك عدي بسرعة من قدامها علشان لو شافتك ها تشتري بالعافية، ولو وقعت قول لها تديك من النداغة المفتخرة؛ ما هو النداغة عندها نوعين نوع الخمسة بربع جنيه؛ ودي بتفضل ماسكة في السنان أسبوع على الأقل وما بتطلعش إلا بالصنفرة الحدادي... والنوع التاني مفتخر الواحدة بربع جنيه، ودي بتدوب لوحدها بعد يوم بس!.

تسيب "أم إسماعين"، هتلاقي بيوتي سنتر الحارة بتاع عزيزة جهنم البلانة، ويا عيني على العروسة اللي تقع تحت إيديها، تسمع صراخها على بُعد خمسة كيلو، وليَّة عفية ياما بوظت رجلين وإيدين للعرايس، طلع جلد رجليهم وإيديهم في إيديها... لما تشوفها اجري بسرعة؛ أحسن تقول لك تعالى أنعم لك دقنك ، أعوذ بالله على دي ولية لسه مبوظة رجل البت حُسنية من أسبوع وآهى مرمية في المستشفى عملت عملية ترقيع ، البت فرحانة أن جوزها طالع من السجن قالت تروق نفسها، ولا البت زنوبة عمرها ما اتهنت بقميص نوم عريان تلبسه زي العرايس آهي متجوزة من خمس سنين ولابسه بكُم على طول جلد إيديها راح وعضمها بان ولفت دراعها بحتة فانلة قديمة... مش بأقول لك ولية عايزة الحرق، لكن تقول إيه ما فيش غيرها في الحارة ، هو في عروسة تقدر تعمل الشغلانة دي في حتة تانية دي تبقى عيبة في حق عزيزة جهنم.

آخر الحارة هتلاقي حنفي الشافي قاعد وده بيبيع "المية الصفرا" عنده معمل لتصنيع الخمرة، والإزازة بجنيه، والصنف الحلو بخمسة جنيه.

وإنت راجع؛ أرجع من نفس الطريق وما تبصش على حد لا فوق ولا تحت، بدل ما تسمع حد يقول لك: (بتبص على إيه يا روح أمك) وممكن ياخدوك رهينة...

حتمًا ها يقابلك "فتحي أبرهة"، مسِّي عليه، ها يقوم وياخدك بالحضن دليل على الكرم وأوعى تتملص منه ولا تسد مناخيرك من ريحته ها يعصرك في حضنه، الراجل ده ما عندهوش رحمة وناوله جنيه وعدّي بسلامة الله.

وكده إنت اتعرفت على الحارة.

نسيت أقول لك على حاجة تطمنك : حارتنا تمتاز بعدم وجود لا كلاب ولا قطط ولا فيران ولا حتى عِرَس... غريبة مش كده؟.



ليلة بكى فيها الدكر

أخيرًا، وبعد أن ظلَّ يتوسل إليها للصلح؛ وافقت أزهار على عودة زوجها محروس الدكر لبيته بعد أن غاب عنه لمدة تزيد عن الثلاثة أشهر أمضاها بمنزل أمه، وكان من ضمن شروط العودة شراء شبشب أحمر بفيونكة على الجنب مثل الذي تلبسه جارتها شفيقة، فوافق محروس وذهب لسوق العتبة بحثًا عن الشبشب المطلوب وبالمواصفات المحددة... وبعد أن داخ السبع دوخات، أخيرًا وجد ضالته، فاشترى الشبشب ومشي والفرحة تملأ عينيه فهو غير مصدق نفسه أن أزهار وافقت على عودته بعد أن صممت على قطع العلاقات وعدم العودة مطلقًا... عرج على الأسطى سعد الحلاق فحلق ذقنه وهذَّب شاربه، ولم ينس الأكلة المفضلة لأزهار فمرَّ على مسمط "إنت عمري" وأخذ يعدِّد طلباته للمعلم "ربيع العربي" صاحب المطعم، وحمل ما لذ وطاب وسار متوجهًا لبيته، وصعد السلالم وهو يغني: "يا حبيبي عود لي تاني تاني". وعلى باب الشقة توقف ليعدل من نفسه، وأخرج من جيبه زجاجة عطر ماركة الجنتل وأخذ يرش منها على كل أجزاء جسمه ثم ضغط على زر الجرس فأتاه صوت أزهار من الداخل:

- أيوه مين؟.

- حبيب القلب من جوه ... حسحوس.

فتحت أزهار الباب، فبادرها مسرعًا بأن رفع الكيس البلاستيك وبداخله الشبشب في وجهها، وأخذ يؤرجحه يمينًا ويسارًا، فابتسمت أزهار وكست السعادة وجهها، ودخل محروس وأغلق الباب خلفه...

جلست أزهار على الكنبة وأمسكت بالكيس لتخرج منه الشبشب لتلبسه، ولكن محروس جذب منها الكيس وحلف طلاق تلاتة بأنه هو الذي سيلبسها الشبشب، فأخرج فردة منه فوجدها للقدم اليسرى فألبسها لها، وأخرج الفردة الثانية وألبسها بالقدم اليمنى... ووقفت أزهار لتستطلع الشبشب بأرجلها، وعندما نظرت لأسفل وجدت أن الفردتين شمال، فصاحت صيحة الحندوب ابن أبي حلسه إبان حرب المعيز عندما زعق في جيشه بصوته الأجش "هجوووووم"... ثم أمطرته بسطر من اللوم الحنين:

- جرى إيه يا حسحوس، إنت دماغك كانت فين وإنت بتشتري الشبشب؟، ولا اشتريته على مرتين ونسيت اشتريت أي فردة في الأول؟، هو أنت نافع إلا في القعدة عند حنفي الشافي تقربع المية الصفرا لما لحست دماغك وخليتك ما تعرفش الرجل اليمين من الشمال ، وقال إيه جايلي وبتغني وراشش الريحة، قوم قوم طريقك أخضر وسكتك عارفها على بيت أمك عدل.

غاب محروس عن الوعي، ولم يفق إلا بعد أن ناولته أزهار الكيس وبداخله الشبشب، فأمسك بالفردتين وأخذ يقلبهما ويعدلهما والعرق يتصبب منه بغزارة حتى ابتلت ملابسه، فتملكه اليأس فخرَّ ساكنًا وانعقد لسانه عن الكلام، فسحبته أزهار من يده حتى باب الشقة وقالت له:

- بالسلامة يا أخويا روح اعدل الشبشب وابقى تعالى.

خرج محروس مكسورًا مهيض الجناح متجهًا لسوق العتبة حالفًا بأن يخلص ما حدث له من البائع... وظل يبحث عن البائع وسط الزحام الهائل فلم يجده فتملكته خيبة الأمل وانتابته حالة هياج عصبي، فوقف وسط السوق رافعًا الشبشب لأعلى وهو يقول: "حد عنده شبشب زي ده يديني فردة يمين وياخد الشمال"... ظلَّ هكذا والناس من حوله يتعجبون من كلامه فقال أحدهم للآخر:

- الظاهر إن مراته رجليها بتحدف شمال وعايز يعدلها بفردة يمين تلبسها في الشمال .

فردَّ عليه:

- لأ ما أظنش، دي الموضة بتاعة ستات اليومين دول الواحدة ممكن تلبس اتنين يمين أو اتنين شمال، تقول إيه بقى للفرنجة والتقليد الأعمى.

فسمعهما شخص آخر كان يقف بالقرب منهما فقال:

- ده عاشر واحد النهاردة يسأل عن فرده يمين، وإمبارح حوالي خمسة، وفي واحد صاحبي ساكن في شبرا قال نفس الحكاية ومرات أخو المودام بتاعتي قالت إن عندهم في الإسكندرية حصل نفس الشيء، يبقى الموضوع ده فيه إنة وحاجة مش مظبوطة بتحصل في البلد وإحنا مش واخدين بالنا، آه ما فيش غيره بعد ما فشل وزهق من الرجالة عايز يولعها عن طريق النسوان، ما هو ابن جنية عارف إنهم يعملوها... مش واخدين بالكم ولا إيه ؟.

فقال له أحدهم مندهشًا:

- هو مين اللي ما فيش غيره؟.

فنظر إليه وهو يضرب كفًّا بكف وقال:

- أوعوا تقولولى إنكم مش من هنا؟.

- لا من هنا ولا من هناك، إحنا من كوكب المشترى وكنا جايين نشتري بضاعة من سوق العتبة .

فقال لهم وهو يهز رأسه:

- آه سياح يعنى... أنا قلت كده برضه ، طيب ما يلزمش أي خدمة نقوم بيها، محسوبكم برعي البنص وساعات بينادولي برعي توهان.



سوق يا أسطى على الخفير

داخل قهوة حناطة.....:

دخل الأستاذ دكروري المحامي وجلس في مكانه المعتاد، ونادى على دسوقي القهوجي:

- دسوقي .... يا دسوقي.
- أيوه يا أستاذ دكرورى.
- ما شفتش شحتوت.
- لأ ما شفتهوش النهاردة.
- هات لي رقم الموبايل بتاعه.
- ولا مؤاخذه مكتوب على الحيطة جوه خش انقله.
- طيب هات لي سحلب وكتَّر الفول السوداني عليه.
- عينيّ.

الأستاذ دكروري يطلب شحتوت على الموبايل:

- إنت فين يا شحتوت؟ إحنا مش متواعدين نتقابل دلوقتي؟
- ....
- بسرعة وحياتك علشان مش فاضي.
- ...

دسوقي يضع السحلب أمام الأستاذ دكروري:

- أى خدمة تاني يا أستاذنا؟.

- لا شكرًا يا دسوقي... قول لي مصر عملت إيه النهارد؟

- إنت ما شفتش الماتش؟

- لأ ما كنتش فاضي، بس حاسس إننا اتغلبنا، مش شايف زيطة في الشوارع.

- عندك حق، اتغلبنا ومن مين؟ من أضعف الأفاركه اللي لسه بتستهجى خد وهات، وشكلنا كده ها نريح كام سنة كمان.

يدخل شحتوت ويجلس:

- معلهش يا متر اتأخرت شوية، كان عندي مصلحة بسبوبة كويسة، أأمر يا متر أنا كُلي طواعية ووداني معاك، إيه نوع المحاكمة؟.

- جنايات.

- ألطف بينا يا رب ، قتل ولا مخدرات؟.

- اغتصاب.

- يا ساتر أستر على الولايا، العيال اعترفوا؟.

- أيوه لكن دي ليها حل.

- والمطلوب يا متر؟.

- تشهد إن البت هي اللي شاغلت العيال علشان نخفف الحكم.

- هي لامؤاخذة ست ولا بت بنوت؟.

- ست، ومطلقة.

- يا حول الله ، عمومًا كده يسهل الموضوع علينا... والحدوتة تمت فين؟.

- في مقابر الخفير.

- شلله يا سيدي الخفير أما عيال وسخة صحيح طب يراعوا حرمة الموتى.

- المهم عندك حل يا عم شحتوت؟.

- جرى إيه يا متر هو إحنا أول مرة نشهد ولا إيه، ده أنا جامعة متخصصة ومتخرج من تحت إيدي كل اللي إنت شايفهم ماليين المحاكم، ولا إنت نسيت قضية المعلم بدران؟ ولولا العبد الفقير اللي سلكه لتلات سنين كان خد تأبيدة.

- عارف يا شحتوت عارف .

- أمال بتسألني ليه وتخلينى أغل في نفسي؟.

- معلهش يا سيدي.

- طيب إديني ع الماشى شوية تفاصيل عن الموضوع لغاية لما تناولني صورة من ملف القضية.

- عايز تعرف إيه؟.

- هما كام واحد بالصلاة على النبي؟.

- تمانية.

- يخرب بيت أبوهم، وخطفوها إزاي؟.

- خطفوها من ميكروباص.
- ودول أصحاب؟.
- أبدًا، كلهم ركاب وما يعرفوش بعض، وهي الست الوحيدة اللي كانت راكبة.
- يا سبحان الله حاجة غريبة، واتفقوا إزاي؟.
- البت احلّوت في عين السواق، سأل الركاب؛ طلعوا كلهم جاهزين، حتى كان في واحد منهم شيخ أعمى لما سأله السواق تحب تنزل يا مولانا ولا معانا؟ قال معاك يا أسطى هو أنا ليا طريق إلا معاك بس حد يكون معايا يدلني علشان ما بشفش بالليل وخبرتي قليلة في المواضيع دي، واطلع بينا على مدافن الخفير الجو هناك صافي ورايق ومفتاح حوش مدفن أحد الاقارب معايا.
- ههههه ده شيخ أعمى عيون ومفتح مزاج... والعيال دول اتمسكوا إزاي؟.
- حظ أمهم زفت البوليس كان عامل كبسة على تاجر مخدرات في المدافن والظاهر حد من المخبرين رسَّاه، طار طيران قبل الكبسة ، شوف الحظ الظابط والمخبرين وهما راجعين سمعوا صراخ البت دخلوا الحوش يلاقوا القضية جاهزة لا يدوروا على هربانين ولا خلافه.
- طيب والأعمى ده قال إيه في التحقيق؟.

- قال : أعوذ بالله من الفاحشة، أنا كنت بأقرأ على روح واحد ميت، ولما سأله وكيل النيابه حد بيقرأ على روح واحد ميت الساعة واحدة بعد نص الليل ؟ قاله: دي وصيته أصله كان راجل صاحب مزاج وكان بيسهر طول الليل وبينام بالنهار... لكن البت قالت في التحقيق أنه أول واحد اغتصبها بعد ما السواق قاله أتفضل إنت يا مولانا الأول افتتح الليلة علشان تكون ليلة مبروكة.

- والنبي الشيخ ده دمه زي العسل.. قريت التحقيق كويس يا متر ؟

- أيوه ومعايا أهو.

- طيب شوف كده حد جاب سيرة على عدد اللي كانوا في الميكروباص.

- لا محضر الشرطة ولا حتى وكيل النيابة سأل، يعني ماحدش جاب سيرة.

- إنت متأكد ولا تديها بصة تاني؟علشان ها نشتغل على كده.

- يا سيدي متأكد زي ما أنا متأكد إنك قاعد معايا.

- الله عليك يا حبيب والديك، اطلبلي قهوة محوجة... شوف يا متر الأمتار، إنت ها تقدمني للمحكمة على إني كنت راكب في الميكروباص وسيبني أقول أحلى قول، وبعون الله ها تزغرد القاعة... هي دي أول جلسة؟.

- لا، دي الجلسة التالتة، ويوم التلات اللي جاي.

- والنيابة طبعًا لعلعت وطلبت الإعدام.
- طبعًا، هي وراها إيه غير كلمة إعدام.
- يعني الفضية استوت قدام القاضي... وإنت قلت إيه؟.
- طلبت التأجيل للكشف الطبي على المتهمين لإجبارهم على الاعتراف، وتقديم أدلة جديدة لصالح المتهمين.
- وهو في حد منهم مضروب؟.
- لا، لكن ها يظبطوا نفسهم في الحبس الاحتياطي... أهو وقت لغاية لما أفكر، وجيت إنت على دماغي.
- ما هو إنت دايمًا ناسيني يا متر وما بتفتكرنيش إلا في وقت الزنقة.
- نصيب بقى يا شحتوت... المهم طلباتك إيه؟
- ما إنت عارف أتعابي، في الجنايات الفردي خمس بواكي تخفيف حكم، ولو براءة يزيدوا خمسة، إنما دول كتيبة، يعني بالصلاة على النبي عايزة تركيز ومخمخة والغلطة بفورة، وإنت عارف ممكن تنقلب شهادة زور وأريح كام سنة في السجن، وعلشان خاطر المتر دكروري عشرين تخفيف حكم وزيهم براءة، وها آخد عشراية مستعجل والباقي على باب المحكمة.
- الله الله، جرى إيه يا شحتوت؟ أمال أنا آخد إيه؟.
- اللهم لا حسد، الهبرة كلها ، هو أنا ها أحسب رزقك ؟ دي مشنقة يابا وراجل بشناب اسمه عشماوي.

- دول ناس غلابه يا عم شحتوت.

- معلهش يا عم المتر أنا ما تفرقش معايا، ولمَّا هما غلابة وصلوا ليك إزاي؟ ده إنت عنوانك معروف في العالى والفيزيتة غالية.

- والله حرام يا شحتوت، دا أهاليهم بيستلفوا علشان يصرفوا على القضية.

- يبقى يشوفوا لهم حد من بتوع حقوق الإنسان وأهم مرميين في كل مكان وعلى قفا مين يشيل.

- اتفقنا ياعم شحتوت، ولو إن الشغلانة كده مش جايبة همَّها.

- يبقى أبجني العشرة المستعجل بنفس مرضية، ونقرا الفاتحة، وناولني صورة من ملف القضية أذاكره، وطمِّن الأهل والمعارف.

• • •

قاعة المحكمة:

القاضي: نادي على الشاهد.

الحاجب: شحتة حسين متولي وشهرته الشيخ شحتوت.

شحتوت: أيوه موجود.

القاضي: اسمك وسنك وعملك؟.

شحتوت : شحتة حسين متولي والشهرة الشيخ شحتوت، وسني ٥٢ سنة، وباشتغل بياع سريح، يعني بابيع سبح وبخور بالحسين.

القاضي: قول والله العظيم أقول الحق.

شحتوت: والله العظيم أقول الحق.

القاضي : إنت كنت راكب الميكروباص مع الناس دول اللي موجودين في القفص؟

شحتوت: أيوه ، أنا أول واحد ركبت الميكروباص وكنت راكب في الكنبة اللي ورا جنب الشباك، وبعدين كل واحد من الناس دي ركب من مكان، وبعدين طلعت واحدة وركبت وقعدت في الكرسي اللي في النص، وأستغفر الله العظيم زي ما تكون ولا مؤاخذة ماشية بطال.

القاضي: وإنت عرفت منين إنها ماشية بطال؟

شحتوت: من كلامها لامؤاخذة وحركاتها مع الركاب اللي كانوا قاعدين جنبها واللي خلانى أتأكد لما السواق قال: حد فيكم يلم الأجرة، قالت معاييش تاخد بحقك بوسة؟، راح السواق قال لها بلاش دلع ومش فاضيين... معاكى ولا لأ؟ راحت قالت: طيب خد حقك ناشف أصل أنا مفلسة ولسه ما أتحينتش ولا البضاعة مش عجباك؟ راح واحد من الركاب قال للسواق: خلاص أنا ها ادفع ليها، راحت قالت: لا يا حبيبي أنا ما بحبش حد يبقشش عليا تاخد بفلوسك بوسة ولا تحسيسة، وقامت ضحكت ضحكة أعوذ بالله وقالت بصوت عالي: إنتم كلكم بركة ولا إيه؟ ما فيش حد يعني ريقه جري، وسمعت اللي كان قاعد جنبها وهو

بيقولها : شيلي إيدك ما يصحش، وبعدين قالت : أنا عاملة أوكازيون النهاردة الواحد بعشرة جنيه قلتوا إيه؟ راح السواق واقف مرة واحدة وقال للركاب : حد له شوق يا بهوات؟ كلهم قالوا : معاك يا أسطى... راحت قالت : بس فلوسي الأول... راح السواق لف بالعربية، فقلت له : على فين يا أسطى؟ قال لي : إنت مش جاي معانا؟ فقلت له : أعوذ بالله أعوذ بالله نزلني هنا، راح مفرمل ونزلت ورميت له الجنيه.

القاضي : بص كده، هي دي الست اللي كانت في الميكروباص؟

شحتوت يقترب منها ثم يقول :

ـ أعوذ بالله من غضبه عليكي... هي بعينها، هو أنا ها أتوه عنها.

القاضي : متأكد يا شحتوت؟

شحتوت : تمام التأكد يا حضرة القاضي.

القاضي للمجني عليها : الشخص ده كان راكب معاكم الميكروباص؟

المجني عليها : مش واخدة بالي، الدنيا كانت ليل.

القاضي لسائق الميكروباص : الراجل ده كان راكب معاك؟

السائق : أيوه يا باشا ونزل بعد ما شتم الست دي وشتمني.

القاضي : الدفاع.

دكروري المحامي : شكرًا سيادة القاضي، يكفيني شهادة الشاهد والأمر متروك لعدالتكم.

القاضي: النيابة لها مرافعة؟.

النيابة: لا شكرًا سيادة القاضي.

وتم تأجيل القضية للنطق بالحكم...

وفي الموعد المحدد؛ سُمعت من خارج أسوار المحكمة أصوات أهالي المجني عليهم وهم يهتفون: "يحيا العدل ... يحيا العدل".



٥١٢ ب أ ف

داخل قهوة حناطة.....

الأسطى سيد:

- هات شيشة يا دسوقي وشوف الأسطى حسين يشرب إيه ؟.

- تشرب إيه يا أسطى؟.

- هات شاي سكر برة.

الأسطى سيد وهو ينظر للأسطى حسين:

- جدِّدت الترخيص يا أسطى؟.

- الحمد لله... كان يوم متعب، من الفجر وأنا واقف على حيلي.

- هو يوم الترخيص متعب ومقرف وزحمة، والصرف فيه على ودنه.

- ما هو لو ما صرفتش مش ها تخلص.

- بس مش بالطريقة دي، الواحد عايز صراف بنك ماشي وراه.

- وأخدت نمرة جديدة؟.

- أيوه يا سيدي ، أنا عارف لزمته إيه النمر الجديدة دي، ما كنا مستريحين.

- ونمرتك إيه ؟.

- ٥١٢ ب أ ف.

- يعني بأف يا أسطى؟ ها ها ها ... الواحد بدل ما ينده عليك يا أسطى حسين يقول يا أسطى بأف ههههههههههههههههههه.

- يا راجل عيب بلاش مسخرة.

- هو أنا اللي خليتك بأف؟، مش الحكومة ، هي شافت إن شكلك بأف فأديتك نمرة زي وشك هههههههههه.

- أنا شكلي بأف يا معفن.

وقف الأسطى حسين وأمسك برأس الأسطى سيد وهبده بالدماغ خبطة أفقدته توازنه، وعلى الفور أمسك الأسطى سيد بكرسي وقذفه في وجه الأسطى حسين...

وفي هذه اللحظات دخل المعلم حناطة صاحب القهوة وأنهى المعركة بعد أن صرخ في وجههما فلزما الصمت، وقال للأسطى سيد:

- جرى إيه يا أسطى سيد عامل غاغة ليه؟.

- الأسطى حسين زعل من الهزار.

- طالما ما بيحبش الهزار بتهزر معاه ليه؟.

- حبكت وطلبت الهزار، خد نمرة جديدة للتاكسي بتاعه ٥١٢ بأف ، بذمتك مش حاجة تضحك ولا لأ؟.

- الله ما إنت نمرتك منيلة بنيلة ومقرفة.

- لا لا يا معلم ده أنا منقيها بنفسي ودفعت فيها برزتين، وحلوة وعجباني، ومالها النمرة ٤١٤ ز ي ط ؟... يعني زيط، وأنا راجل بأحب الزيطة.

ضحك المعلم بيومي بصوت عالٍ وقال:

- زيط إيه يا راجل روح شوفها كويس.

- جرى إيه يا معلم هو أنا ها أتوه عن نمرة التاكسي بتاعي، ده أنا حافظها زي ما حافظ اسمك يا معلم.

- بس أنا بأشوفها غير كده يا أسطى سيد.

- بتشوفها إزاى يا معلم؟.

- بأشوف ز ي ط من الشمال... ها ها ها، إخص الله يكسفك... بصرة يا أسطى سيد.



انتقام بلابل

لم يمهل القدر المعلم "أطاشة" السمَّاك بضع دقائق ليقرأ الفاتحة مع المعلم "عدوي" بعد أن تقدم إليه طالبًا يد ابنته "أوصاف" بعد انتهاء شهور عدتها بعد طلاقها من زوجها الخامس، فقد هبَّت عاصفة الصحراء فجأة بوصول زوجته "بلابل" التي ضربت باب الشقة بكتفها فانفتح دون عناء، فعتمت الرؤية واهتزت جدران الشقة، فهي ضخمة الجثة لا يماثلها إلا فيل أبرهة الأشرم... وعندما رآها أطاشة تسمّر في مكانه من هول الصدمة، فقد كانت في زيارة لشقيقتها بالصعيد ويعلم تمامًا أنها لن تعود قبل شهرين؛ كما أبلغته هي بذلك؛ حيث أن شقيقتها وضعت وستمكث معها طوال هذه الفترة...

تقدمت ناحيته والأرض تهتز تحت قدميها... تصبب العرق منه بغزارة، انتابته رعشة شديدة أخذت تراقص جسمه بشدة وكأنه صُعِق بتيار كهربائي... نظرت إليه وشدت شهيقًا شفطت به كل الأوكسجين الموجود بأنحاء المكان، ثم أطلقت زفيرًا وكأنه لسان لهب التنين الأسود، فارتفعت درجة حرارة المكان... ظلَّ أطاشة في حالة انعدام وزن إلى أن صرخت في وجهه صرخة أطاحت

به كالريشة في أحضان المعلم عدوي، وعاد مستسلمًا واقفًا أمامها، نظرت إليه والشرر يتطاير من عينيها الجاحظتين وأشارت إليه بالخروج.

خرج أطاشة هذا الشخص غريب التكوين، فهو قصير القامة، نحيف البدن لدرجة ملحوظة، تميزه تلك الرأس الكبيرة المدببة من الأمام التي يحاط جوانبها ببعض من زغب الشعر وتتوسطها منطقة كبيرة جرداء لامعة، الجزء الخلفي من هذه المنطقة يوجد به آثار لعملية تربنة قديمة، وفي المنتصف توجد حفرة واضحة يُعتقد أنها من خبطة شاكوش أو ما شابهه، أما الجبهة فتوجد بها بعض الغُرز الناتجة عن تصادم آلات حادة بها، فالمعلم أطاشة قبل أن ينصلح حاله كان ممن يبيعون أسماك البساريا والسردين خارج سوق السمك، ومعروف عنه بأنه ممن يسرقون في الوزن ويختلق المشاكل ولا يمر يوم إلا وتحدث خناقة كبيرة بسبب أفعاله... وكانت بلابل قبل أن يتزوجها تبيع مثله خارج السوق الأسماك المستوردة المثلجة المنتهية صلاحيتها، وقد رقَّ قلبه لها في إحدى خناقاته، ولولا تدخلها لانتهى للأبد ، فتزوجها بعد أن طُلقت من زوجها ، أما هو فقد طلَّق زوجته التي كانت على ذمته كشرط أساسي لبلابل لكي يتزوجها... وتركا بيع السمك خارج السوق وافتتحا محلاً لبيع السمك المقلي والمشوي بالحارة وعهدت إليه إدارته.

سار أطاشة ومن خلفه بلابل، شارد الذهن يفكر في مصيره، فهو يعلم أن ردَّ فعلها سيكون شديدًا، ويعرف تمامًا أنها لا ترحم فقلبها لا ينبض بالحنان، فكيف ينبض؟ وهو مدفون تحت عدة طبقات من اللحم يفصل بين كل طبقة وأخرى طبقة سميكة من الشحم، وفوق كل ذلك توجد قربتان كبيرتان تكفيان لإرضاع حضانة بأكملها أو دستة رجال؛ إن أجيزت فتوى إرضاع الكبير...

خطواته متثاقلة، رأسه منكس لأسفل وكأنه يمشي في جنازته، هو الجثمان وخلفه هي جموع المشيعين... فكَّر في الهروب منها والاختفاء لدى أحد معارفه، ولكنه تراجع، فهو يعلم بأنها ستكلِّف أشقاءها لاصطياده وسيكون يوما مشهودًا في الحي فأشقاؤها نُزِع من رأسهم العقل ووُضع بدلاً منه حجر صوان، فقد يقيدونه بالحبال ويجرونه في شوارع الحي ليصلوا به إليها، وما أدراك ما هي، إنها بلابل التي لا تعرف الشفقة، فقد ذاق الأذى منها من قبل عندما كان يغازل إحدى الصغيرات ولم يلتفت لدخول بلابل المحل ورؤيتها له في وضع متلبس، ولكنها تجاهلته بصفة مؤقتة لانشغالها في إدخال طاولات السمك، وهذا في حد ذاته أمرٌ أقلقه وجعله في حيرة طوال الوقت، وعندما عاد ليلاً ودخل المنزل وجدها تنتظره ومعها شقيقها "فرج" ذلك المستطيل الجسدي، فطوله متران وعرضه متر ونصف، فانقض عليه فرج وأحاطه بذراعيه فاختفى بداخله ولم يظهر منه سوى رأسه.. تقدمت بلابل

وفتحت فم أطاشة عنوة ودسَّت به كمية من الشطة السوداني الحارة، فأخذ يصرخ حتى راح في غيبوبة، فأحسَّت بأنه سيموت فأطلقت سراحه من يد فرج وهو في حالة يُرثى لها، وكان هذا هو عقابه لمعاكسته للبنات الوظاويظ؛ هكذا قالت له بلابل.

ظلَّ يفكر ويحدِّث نفسه طول الطريق:

- إيه اللي مستخبيلك يا أطاشة، من كلمتين مع بت صغيرة عملت اللي عملته فيا هي وأخوها فرج، إيه اللي ممكن تعمله تاني؟

رفع يداه للسماء تضرعًا بالدعاء:

- (اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه يا رب العالمين... يا رب ارحمني من هذه المتوحشة ، اللهم شل يدها ولسانها، اللهم اصدم أخوها "فرج" بسيارة نقل بمقطورة قبل أن يصل)... أنا عارف إني غلطان، بس أعمل إيه؟ "أوصاف" زي لهطة القشطة، مش بلابل اللي عاملة زي الحمار الوحشي، لا وألف لا ، أنا لازم آخد موقف معاها، أول ما أوصل البيت أبدأ أنا بالشخط والنطر، يمكن تخاف مني المرة دي، أيوه ، أخش فيها جامد، لو جابت أخوها فرج أدخل بدماغي في جسمه يقع على الأرض ومادام وقع مش ها يقوم إلا لما يجيبوا ونش يرفعه، أخش بسرعة على المطبخ وأجيب أكبر سكينة أهددهم بيها، الواحد لازم يجمد قلبه، هو ده الكلام ما فيش غير كده.

دخل المنزل، جلس، لم تلتفت إليه بلابل، ظن أنها تنتظر أخاها فرج فقد يكون في الطريق فهو لا يحب ركوب أي وسيلة مواصلات ويستخدمها نادرًا وعند الحاجة الملحة فقط ويفضِّل ركوب النصف نقل ولهذا فهو يمشي مرتجلاً، يتوقف لبعض الوقت إما لتناول بعض السندوتشات وعلب الكشري أو ليجلس على الرصيف ليستريح وأحيانًا يغلبه النعاس فينام وهو جالس ولا يستيقظ إلا إذا دهست قدماه عجلات سيارة أو جاءته رشة ماء قوية من جراء سيارة مسرعة داست بعجلاتها في المياة الراكدة بالشارع أو إذا أيقظه صاحب محل لأنه يحجب عنه الزبائن.

أغلقت بلابل باب الشقة من الداخل، سألها عن فرج فعرف أنه لن يحضر فتنفس الصعداء ، جلست أمامه ، استعرضت ما بدر منه، اتهمته بالخيانة العظمى وأصدرت حكمها عليه...
بالحبس الانفرادي داخل الشقة مدى الحياة.



فـرح فـرح

أُعلنت حالة الطوارئ القصوى في الحارة، فقد تمَّ تجهيز مسرح كبير بعرض الحارة وعُلِّقت الزينات على جانبيها فوق أعمدة الإنارة والبلكونات، فاليوم زفاف "فرح" وهي الابنة الكبرى للمعلم حناطة، فأخيرًا وبعد فسخ خطوباتها أكثر من عشر مرات سيتم زفافها الليلة ، ومنذ شهر وأمها "سعدية عرندس" في معسكر إعداد لهذا اليوم، ومعها مستشاروها من سيدات ورجال وشباب الحارة وكان آخر اجتماعاتها صباح اليوم لتوزيع الأدوار على المساعدين فالمجوعة الأولى ويرأسها "سعيد بشلة" مسؤولة عن تنظيف الشارع ورشه بالمياه ومتابعة إغلاق المحلات والمقاهي في تمام السادسة مساءً، والمجموعة الثانية ويرأسها "علي اللولي" وتتولى الإشراف على تجهيزات الزينة والمسرح وترتيب الكراسي ووضع الكوشة، أما المجموعة الثالثة ويرأسها كل من "عطيات نايلون" و"محسن دوكه" وتقع مسؤوليتهما في استقبال المعازيم وإرشادهم لأماكن الجلوس بالإضافة إلى توزيع علب السندوتشات والمياه الغازية، والمجموعة الأخيرة هي مجموعة المراقبة والإنذار المبكر ويرأسها "فتحي أبو الروس"

ومهمة هذه المجموعة إخماد أي مشكلة في مهدها قبل أن تقع الكارثة ولهذا اختارت أبو الروس لرئاستها لما يتميز به من قوة البنيان ولخبرته في هذا المجال علاوة على أن جميع أهل الحي يخافونه لسرعته في الضرب بالرأس، وقد عهدت إلى "زينات" جارتها وصديقتها الحميمة ترتيب الزفة وأمور تجهيز العروسة، فقد حلفت سعدية عرندس بأن يكون هذا اليوم مشهودًا وليس له مثيل ويصل صداه للأحياء المجاورة وتضرب عصفورين بحجر واحد: الصيت بأنه أكبر فرح ويتحاكى به الناس، والكيد الأعظم للمحروقة "شربات" جارتها وعدوتها اللدودة التي زوَّجت ابنها منذ شهر، ووقتها أصدرت سعدية فرمان سرى لأهل الحي بعدم حضور الفرح، ورغم أن شربات أحضرت المطرب الشعبي المشهور "عبده سكلانا" والراقصة المشهورة "فلة عزوز"؛ إلا أن الذين حضروا هم أهل العروسين والقلة القليلة من أهل الحي، ويومها طلبت سعدية من أحد مخبريها السريين الذي دسَّته بالفرح ليراقب كل من حضر من أهل الحي ويسجل أسمائهم لتتخذ ضدهم ما يتناسب من عقاب كلٌّ حسب حجمه نتيجة تمردهم وعصيانهم لأوامرها، ورغم أن عبده سكلانا غنَّى معظم أغانيه المشهورة التي يتراقص لها طوب الأرض وتميل لها قلوب العواجيز قبل الصبايا وبالأخص أغنية "طفشان وشايل هدومي، مراتي وعيالي هيجننوني" إلا أن السميعة فضلوا أن يقفوا خلف الشبابيك تخوفًا من بطش سعدية عرندس واحترامًا للعهد، وكانت

"النُقطة" قليلة جدًا لا تتناسب مع وجود عبده سكلانا وفله عزوز، ويومها ارتفع ضغط شربات وظلت ملازمة للفراش لأكثر من أسبوع.. ولهذا صممت سعدية عرندس أن يكون المطرب "حنفي وزة" هو نجم الليلة، وخاصة أنه المنافس الوحيد لعبده سكلانا في الساحة، وأرسلت في طلب الراقصة المشهورة "بيسة هيلمان" من الإسكندرية؛ التي اشترطت أن تحضر بفرقتها كاملة وأن يكون المسرح بأطوال معينة... كما أشاعت سعدية بأن الفرح سيذاع في التلفزيون ببرنامج "أفراح حارتنا"... وذهبت لأعضاء مجلسي الشعب والشورى بالدائرة ووجهت لهم الدعوة لحضور الفرح وشددت على حضورهم ووعدوها بالحضور فهم يعلمون أنها صاحبة واجب أثناء الانتخابات...

وما أن جاءت الساعة السادسة مساءً؛ حتى أغلقت المحلات أبوابها بناءً على التعليمات المبلغة لأصحابها، حتى أن "عزيز" صاحب الصيدلية الوحيدة بالحارة أراد أن يُستثنى من هذا القرار فتم استدعاء فتحي أبو الروس فأغلق على الفور.

ولم تمضِ دقائق إلا ودارت مولدات الكهرباء وأضاءت الأنوار وبدأت الميكرفونات تدخل مرحلة التجارب بوصول الأسطى "روقة" مهندس الصوت والذي يسبق المطرب حنفي وزه للتظبيط وترتيب وضع الميكرفونات... وهلَّت بشاير المدعوين، فقد وصلت خمس سيارات ميكروباص تحمل أقارب العريس، وبدأت وسائل النقل المختلفة تتوالى محملة بالبشر بأقارب سعدية

وأحبابها من كل مكان، والكل يأخذ مكانه... ومن آن لآخر تطمئن على سير العملية بواسطة الواد "شرذمة" المكلف بنقل الأخبار إليها والذي يتخذ من سطح إحدى العمارات مركزًا له.

بدأ الـ"دي جى" يعمل ويذيع على هوى الموجودين، حتى تكدس المكان الذي تم تقسيمه طولاً إلى قسمين؛ أحدهما للسيدات، أما ما يخص الرجال عبارة عن مجموعات متجانسة كل مجموعة التفت حول ترابيزة، فمجموعة المعلم محروس والمعلم مرسي والمعلم كلاوي تخصص مخدرات، ومجموعة الأسطى صبحي والمعلم حريش تخصص بيرة، أما شباب المنطقة فاكتفوا بالوقوف متفرقين ومع كل واحد منهم ما يكفيه من لفائف البانجو...

ووصل آخر تقرير لسعدية من الواد شرذمة بأن الحالة عال العال وكله تمام، فنزلت من شقتها وبصحبتها مجموعة من المقربين لها وهي ترتدي عباية حمراء اللون يكسوها الترتر بألوانه المختلفة وغطاء رأس بنفس لون العباية وشبشب بكعبٍ عالٍ أزرق اللون وتمسك بيدها مروحة وقد تزينت بالأساور والسلاسل الذهبية حتى أن رقبتها مالت على صدرها من هذا الثقل الذهبي... وبمساعدة فتحي أبو الروس صعدت على المسرح وأمسكت الميكرفون لتحية الموجودين:

- عقبال عندكم جميعًا، والليلة ليلتكم وعايزين نفرح، واللي يحبنا نشيله على راسنا من فوق، واللي مش عايزنا نفرح يتفضل من

غير مطرود وطريقه أخضر وكمان نوصله لبيته... ونظرت لفتحي أبو الروس وقالت:

- صح يا معلم فتحي؟.

- تمام التمام يا ست الستات وهو ده الكلام المفيد.

وقفت تتأمل الموجودين وترسل تحياتها هنا وهناك... ولم تمضِ دقائق حتى كانت أصوات أبواق الموتوسيكلات والسيارات تملأ المكان؛ تتقدمهم سيارة مرسيدس حديثة تجلس بها "فرح" وعريسها "حامد" وشهرته "سنجأ" وهو ابن المعلم "عباس الفسخاني" وقد اصطفت فرقة "عنوس" على الصفين لتبدأ مراسم الزفة... نزل العروسان من السيارة وطبل وزمر وأغاني ورقص وزغاريد وطلقات رصاص وصواريخ تحلِّق في سماء الشارع وكأنه الاحتفال بافتتاح الاولمبياد، وبصعوبة بالغة وصل العروسان للكوشة التي تسلقاها بواسطة السلم ، حيث طلبت سعدية أن تكون الكوشة على ارتفاع ثلاثة أمتار وعلى شكل مغارة لتكون أول كوشة من نوعها، ولتحافظ على ابنتها وعريسها لو حدثت معركة.

وصلت فرقة "حنفي وزة" وأخذت أماكنها على المسرح وبدأت تعزف، وها هو حنفي وزة يخرج من تحت المسرح مُمسكًا بالميكرفون اللاسلكي ويصعد على المسرح وسط تصفيق حاد من جمهور الحاضرين، تراه طويل القامة نحيف الجسم بدرجة ملحوظة، شعره مغموس بالفازلين، يرتدي بدلة خضراء زرعي

وقميص أصفر فاقع اللون، ويطوق عنقه بخيط سميك أشبه بالدوبار به خرزة كبيرة زرقاء... وشعلل الفرح وخاصة بأغنيته الجديدة "ضرب القفا عفا، في البرد تحس بالدفا" وبدأ سعيد الشحري "النوباتجى" يلعلع ويشوف شغله والنُقطة بدأت تنزل على ودنه خمسيناية من هنا ومياية من هناك وميتين طايرة من فوق، والفحم ولع والجوزة المغموسة كركرت والسجاير المعمرة شغالة والدخان وصل للعالي وسرح لبرة والبيرة اشتغلت والجماجم ونونت والليلة احلوت واستراحة لحنفي وزة حيث وصلت فرقة الراقصة بيسه هيلمان وصعدت على المسرح وبدأت تعزف المقدمة "يا بيسة يا أحسن رقاصة من غيرك الناس محتاسة وأتميلي ع الواحدة ونص خلينا نبحلق ونبص" وها هي بيسة هيلمان تصعد لخشبة المسرح وسط الهتافات والتصفيق ، ترتدي بدلة رقص حمراء مفتوحة من الجانبين حتى الوسط، وتستر عورتها بشورت أسود يخنق فخذيها، وتخفي صدرها المندفع للأمام بوشاح من الحرير أحمر اللون، وراحت تتمايل على أنغام فرقتها الموسيقية، وكلما مالت بجسدها للأمام يتدلى صدرها؛ فتتعالى صيحات الرجال وتتطاير عليها النُقطة، واندمج معها الجميع ؛ إلا نسوان الحي اللائى ظهرت عليهن علامات الغضب عندما وجدن أزواجهن على هذا الحال ، فاستشاطت إحداهن غيظًا فقذفت زوجها بزجاجة مياه غازية، فشجَّت رأسه.

فجأة انقطع التيار الكهربائي، ولم تمر لحظات إلا وظهرت في سماء المكان كرات نارية تتطاير هنا وهناك وتقع على رؤوس الحاضرين، الفزع حلَّ بالمكان ، صرخات النسوان وصل صداها للأحياء المجاورة: "مولوتوف.. مولوتوف" اجروووووا، الكل يجري محاولاً الهرب من هذا الجحيم الناري.

وقفت سعدية منزعجة في حالة لا وعي تصرخ وتنادي على فتحي أبو الروس ورجالته، ولكن أين هم ؟ الكل اختفى وسط الظلام الدامس ، صراخ العروسين يدوي من أعلى ولا يسمعهما أحد ، حنفي وزه كان أول الفارين، وقد هربت بيسه هيلمان وفرقتها بعد أن مزقوا السرادق خلف المسرح.

انفضت الليلة وساد هدوء حذر وسط ظلام دامس، ولاح بصيص من ضوء خافت يأتي من بعيد يقترب لداخل السرادق؛ إنه الواد شرذمة يحمل في يده كشاف إضاءة، وعندما رفعه لأعلى ظهرت سعدية عرندس وبجانبها ابنتها فرح تجلسان على خشبة المسرح، أخذت سعدية الكشاف وسلطته في جميع الاتجاهات فرأت كل هذا الدمار فلم تتمالك نفسها من هول المنظر، صرخت ولطمت خديها ، وقفت على خشبة المسرح ، صاحت بصوتٍ عالٍ: "عملتيها يا شربات يا بنت عزيزة بحبح".



معركة الشلن الكبـرى

صوت الواد زعبوبة:

- يا عم مرداش... يا عم مرداش.

ما أنا كنت متنيل لسه واقف في الشباك يعني لما أخش علشان أفك نفسي يحلا ليهم يندهولى... نظر من الشباك:

- جرى يا زعبوبة ... عايز إيه ؟.

- الباشا رئيس المباحث عايزك.

- شخصيًا؟... هو فين؟.

- أهو هناك واقف عند القهوة... ها أروح أقوله.

- تروح فين يا واد؟ أنا اللي أروح له.. هما دول بيجوا لحد.. إنت عايزنى أتسكع قفايين ولا إيه ؟.

ذهب مسرعًا ووقف أمام حضرة ضابط المباحث معرِّفًا نفسه:

- أنا مرداش العايق... حضرتك طلبتني؟.

- أيوه... إنت كنت واقف في الشباك وشفت اللي حصل، يا ريت تقولي الموضوع بالظبط.

- عيني يا باشا هو إحنا نقدر ما نقولش ... شوف حضرتك: من حوالى ساعتين دخلت الحارة عربية مرشيدس سودا ونزل منها

واحد عليه القيمة وفتح شنطة العربية وسأل أم عاشور بتاعة الفول النابت عن الغلابة اللي في الحارة علشان يوزع عليهم شنطة رمضان، ويا دوب هو خلّص سؤاله من هنا وأم عاشور ندهت على الواد زعبوبة السالك وقالت له يلف بسرعة بالعجلة بتاعته يبلغ أهل الحارة... وفي ظرف دقيقة كان كل أهل الحارة متواجدين في المكان وضرب وصريخ لغاية لما حضرتكم شرفتم.

- لكن ما شفتش مين اللي قلَّب الراجل وسرق محفظتة؟.

- ها اشوف مين ولا مين يا باشا ده كان أسخم من زحمة ليلة مولد السيدة ، الراجل ده فلوسه اتهدرت بين أهل الحارة كلها، ما هو يا باشا كان لازم يتأص الأول قبل ما يخش الحارة، أو كان لازم يأمن نفسه كويس، ده كويس إنه رجع بالعربية سليمة لكن تقول إيه ؟ الناس هنا ما بتتعظش من معركة الشلن.

- وإيه بقى معركة الشلن دي؟.

- كان سيادتك لسه ما اتولدتش ، الحكاية إن عم الشيخ شعبان وهو خارج من الجامع بعد صلاة العصر لقى شلن ورق على الأرض، وبمجرد ما سألك حد ضايع منه شلن ؟... عين سيادتك بالصلاة على النبي ما تشوف إلا النور، ألوف مؤلفة من البشر اتلمت في لحظة كل واحد منهم بيقول الشلن بتاعه، والمطاوي طلعت والسنج اشتغلت ده غير الجنازير اللي كانت بترف في

الجو وبتلوش الرؤس... فضلت المعركة دايرة لحد طلوع الفجر ، الحكاية دي مات فيها خمسة ده غير اتناشر جرحى من تربنة في المخ على قطع رجل على شوية تجبيس على شلل نصفي، وكله إلا عم بشير الراجل ده كان لما يمشي يهد الأرض ويرجها ولما يكح يتكسر إزاز الشبابيك عمل فيها أرن وخطف الشلن من إيد الواد سطوحى وخباه في جيب الجلابية، وانسى يا باشا عُشرميت أيد دخلت جوه جيب جلابية عم بشير علشان تطلع الشلن ولقينا عم بشير صرخ وقعد يجري زي المجنون وراح واقع على الأرض والدم حنفية من بين رجليه ونقلوه على القصر العيني ورجع بعد أسبوع ماشي فاتح رجليه، وأهو حضرتك قاعد هناك زي الغلابة مكسور يا ولداه ما خلاص ما لهوش في الستات... وتقولي شنطة رمضان تتفرق في حارتنا يا باشا.... قول وحوي يا وحوي.



ربيع العربي

مسكين المعلم "ربيع العربي" صاحب مسمط "إنت عمري" الراجل ده هو الوحيد اللي في الحارة اتبهدل من اللي يسوا ومن اللي ما يسواش.

فجأة وبدون سابق موعد كل أهل الحارة انقلبوا على المعلم ربيع العربي، والحكاية كانت بسبب الواد طغيان هيلالاما؛ كان راجع زي عوايده نص الليل والظاهر متقل العيار شويتين؛ يعني ضارب دماغ ثلاثية الأبعاد مديها بانجو على سطر بودرة على اتنين ترامادول وجاي يطّوح في الحارة، ووقف قدام مسمط المعلم ربيع العربي وزعق وقال: (إنت السبب يا ربيع يا عربي، إنت اللي ودتنا في داهية، آه اتعكمت رزمة دورارات خضرا من الأمريكان وخلوك تشطح وتنطح ونيمتنا لا شغلة ولا مشغلة ، أديك خربتها وقعدت على تلها وبقت المحروسة موكوسة ، يا راجل يا مفتري تخلص على التوانسه وتبرطع في اليمن وتخش على ليبيا اللي كانت رجلينا رايحة جاية عليها؟ حتى أبو الشامات في سوريا خلتهم نازلين دعك في بعضيهم ، صحيح راجل ما عندكش عروبة، لو راجل تنزلي هنا وأنا أمرمط بيك الأرض.

ظلَّ يزعق بصوتٍ عالٍ: "انزلي يا ربيع يا عربي ولا ها أطلعلك أجيبك من قفاك".

ناس الحارة صحيت على زعيقه ، وما فيش دقايق إلا والواد فرسكا والواد بؤلة جايين جري؛ وكانوا مونونين برضه؛ فسأله الواد بؤلة:

- مالك، في إيه يا أسطى طغيان؟ مين هوب ناحية عقلك؟
- المعلم ربيع العربي هو سبب كل البلاوي اللي إحنا فيها، صح ولا لأ؟.
- صح يا معلم وبالتأكيد صح، ولا إيه يا أسطى فرسكا؟.
- آه صح هو السبب، يبقى نحرق الدكان بتاعه ونخلص منه.
- عداك العيب يا أسطى فرسكا.

وقرروا يحرقوا الدكان... ونزل عم ربيع ووقف قدام الدكان ، وربك ستر والناس منعتهم من حرقه، وقال له الواد طغيان: من النهاردة تشوف لك حتة تانية وتسيب الحارة ، وإلا ها نولع في شقتك كمان.

جاء المعلم رزيق الجزار وبصفته كبير الحارة؛ قال للمعلم ربيع:

- بصراحة يا معلم ربيع اللي عملته ده ما يطلعش منك ، ودي مش جدعنة أهل الحارة اللي خيرك منها ، وعلشان خاطر العيش والملح تقفل دكانتك وما تخرجش من بيتك ويا دار ما دخلك شر... قلت إيه؟.

- في إيه يا معلم رزيق؟ أنا مش فاهم حاجة.
- أهو ده بقى اللي ما بحبوش تبقى فاهم وعارف وتقولي مش فاهم يبقى إنت مش عايز السلامة.
- يا معلم أنا عايز أعرف أنا عملت إيه، حد يفهمنى.
- يا راجل بقى كل اللي عملته ده وتقول عايز حد يفهمك ، هي كلمة يا معلم: تقفل دكانك ولا تتفضل من غير مطرود تسيب الحارة.
- أسيب الحارة إزاي؟! ده أنا أتولدت هنا ، يا أخونا حد يفهمني في إيه؟ وإيه اللي حصل مني؟ دماغى ها تفرقع، ما تفهمني يا معلم حناطة، ولا إنت يا معلم دياسطي.

تقدم منه المعلم حناطة واصطحبه بعيدًا وقال له:

- شوف يا معلم ربيع، أديك شايف الدنيا مقلوبة عليك، والناس هايجة عليك ومصممين على اللي في دماغهم، أنا شايف إنك تعلن ليهم إنك ها تقفل الدكان، ونستنى كام يوم لحد ما الأمور تهدا.
- بس أنا مش فاهم حاجة يا معلم حناطة؟.
- اسمع الكلام ونلم الدور، قلت إيه؟.
- ماشي يا معلم حناطة.

عاد المعلم ربيع ومعه المعلم حناطة ووقف أمام الدكان وأعلن لأهل الحارة أنه سيقفل الدكان... وهنا علا صراخ كل الموجودين

ابتهاجًا بالقرار ، وعلت زغاريد نسوان الحارة ، وقام البعض بإطلاق الأعيرة النارية بالهواء ، ومن فرط الفرحة قام أحدهم بتشغيل أغنية "صورة صورة ، كلنا كده عايزين صورة" والتف الجميع حول الواد طغيان هيلالاما وحملوه على الأعناق ولفوا به بالحارة... ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ إلا وقد ازدحمت الحارة بالبشر من الحارات المجاورة الذين شموا الخبر وكلهم أتوا لمعرفة ماذا يحدث ، وكل من يعرف يصفق ويهلل ويضرب له طلقتين في الهوا ، ومجاملة من الأسطى منص صاحب محل الأنوار الزاهية أخرج كل مكبرات الصوت ووضعها أمام المحل وقام بإذاعة الأغاني الوطنية.. وطالب البعض بأن يطلق اسم طغيان هيلالاما على الزقاق الذي يقطن به ، فوافق الجميع.

سهر أهل الحارة ومن أتى من الحارات المجاورة حتى سطوع شمس اليوم التالي، وبدأ الهدوء يتسلل رويدًا رويدًا ، حتى ساد هدوء تام ، فقد ارتمت الأجساد من فرط تعبها بعد ليلة صاخبة ، كلٌّ نام والسعادة مرسومة على شفتيه.

الساعة الرابعة عصرًا... ولا زال الجميع يتقلب على جنبيه محاولاً النهوض ، ولكن الكسل من فرط التعب يتغلب عليهم... وفجأة استيقظوا جميعًا على صوت الواد طغيان هيلالاما وهو يزعق بصوته الجهوري مناديًا على المعلم ربيع العربي:

ـ يا معلم ربيع ، يا معلم ربيع يا عربي.

وهنا أطلَّ المعلم ربيع من نافذة شقته ونظر لأسفل، وقال:

- في إيه يا أسطى طغيان؟ عايز إيه تاني؟

- هو كان في أول علشان يبقى في تاني؟

- أمال عايز إيه؟

- جرى إيه يا عم الشباب والرياضة؟ باين إن ناموسيتك كانت كُحلي، إنت مش ناوي تفتح النهاردة ولا إيه؟ عصافير بطني بتصوصو طالبة لحمة راس... أوعى يكون النهاردة أجازتك وأنا ناسي!.



يسقط يسقط حكم بلابل

مرَّت الشهور ولا زال المعلم أطاشة السمَّاك في محبسه الانفرادي، ولم يجدي مع زوجته بلابل أي توسلات منه أو من الجيران للإفراج عنه.. ومع مرور الوقت زاد وزنه، وترك شعر رأسه وذقنه دون تهذيب؛ كما كان يفعل عندما كان يتغندر ليعاكس بنات الحارة؛... إلى أن جاءته فرصة الهرب دون عناء فقد استطاع أن يهرب بعد أن كسر باب الشقة مستغلاً عدم وجود بلابل زوجته والهرج والمرج بالحارة على إثر قيام حنفي سُكسُك بإبلاغ أهل الحارة بالهجوم على كارفور أثناء قيام ثورة يناير هناك للتشطيب عليه.

خرج أطاشة من الحارة مسرعًا قبل عودة بلابل، وكان يرتدي جلبابًا قصيرًا، وحشر رجليه بشبشب، فوجد نفسه بداخل مظاهرة كبيرة تهتف: "يسقط يسقط حكم العسكر" فانخرط فيها وظل يهتف بصوته الأجش: "يسقط يسقط حكم بلابل" وغطى صوته على هتاف الآخرين فتنبه البعض له، فقال أحدهم لمن معه:

- الراجل ده بيقول إيه؟

- زي ما إنت، سامع واضح إنه يقصد بالبلابل ضباط الشرطة.

- وليه ما يقصدش ضباط الجيش؟.

- من الواضح إنه من الخلايا النايمة اللي صحصحت وطلعت تجاهد معنا ، ما تيجوا نتعرف عليه.

فتقدموا ناحيته وقال أحدهم:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام، أهلاً.

- ما شاء الله هتافك جديد، إنت تتبع أي جماعة؟

- أنا ولا مؤاخذة جماعتي تبقى بلابل الله يهدها ويخفيها من على وش الدنيا.

- واضح إنك قلبت عليهم؟

- ده أنا هربت من الجحيم اللي كنت عايش فيه.

- ما شاء الله ما شاء الله بارك الله فيك.

- إنت على كده كنت رتبة كبيرة؟

- كنت المعلم.

- مساعد تعليم يعني؟

- بأقولك أنا كنت الكل في الكل.

- ما شاء الله، يعني على كده كنت ماسك كتيبة؟

- أيوه، كان تحت إيدي أورطة وأنا اللي كنت بأمر وأنهى.

- الله الله عليك يا أخ... إلا اسمك إيه؟

- أطاشة.

- إنت من الأطاشية بتوع بحري ولا قبلي؟.

- إيه ؟ آه، من بتوع بحري.

أحاطوا به وتأبطه أحدهم... وسارت المظاهرة وكل من فيها يهتف: "يسقط يسقط حكم بلابل".. ومن فرط حماس البعض جاء وحمل أطاشة وهو يردد بحماس والكل يردد وراءه... إلى أن أطلقت عليهم قوات الشرطة الغازات المسيلة للدموع فتفرق الجميع ، ووجد أطاشة نفسه مع الأشخاص الذين كانوا بجانبه وذهب معهم، وانقطعت أخباره، حتى ظهر في إحدى المليونيات واقفًا على المنصة ممسكًا بالميكرفون وهو يرتدي جلبابًا قصيرًا أبيضَ وبدت على ملامحه التقوى والإيمان فلحيته باتت طويلة ، حليق الرأس ، يغطي رأسه بطاقية بيضاء ليداري بها الحفريات التي تملأها، ممسكًا بمسبحة طويلة... علا صوته الأجش قائلاً :

(أيها الناس الكويسة: لحد إمتى ها نسكت على اللي بيتحكم فينا، إحنا اتظلطنا من بطون أمهاتنا أحرار ، قولوا معي: "يسقط يسقط حكم بلابل")، وردَّد الجميع وراءه هتافه بحماس...

وأصبح أطاشة التميمة التي يتفاءل بها المتظاهرون في مليونياتهم ، لدرجة أنهم علقوا صورته بمنازلهم وقام البعض بطبعها على التيشيرتات وتم توزيعها أثناء المليونيات... وكان من عادة أطاشة السيئة أن يضع إصبعه بمنخاره ، فعندما نبهه أحدهم إلى ذلك قال: إنني أستخرج منها ما يسدها من الكلمات

الكريهة التي يطلقها البعض الآخر علينا... ولم تمضِ سويعات قليلة إلا وقد نشر البعض بصفحاتهم بالفيس بوك صورة له وهو يضع إصبعه بمنخاره، وكتب أسفلها عبارته الشهيرة... وأصبح الإصبع في المنخار شعارًا يُرفع بالمليونيات.

اشتد الغيظ ببلابل، فكلما رأته بالتليفزيون وهو يهتف: "يسقط يسقط حكم بلابل" تشعر بأنها هُزمت، خاصة أن أهل الحارة بدأوا يرددون الهتاف كلما رأوها تمشي بالحارة... فقررت أن تخطفه، وتخمرت الفكرة برأسها وجمعت أشقاءها الثلاثة، وبعد جلسة مطولة اتفقوا على تنفيذ العملية.

راقبوه إلى أن عرفوا مكان تواجده بمنطقة نائية وبإحدى الشقق المفروشة بعمارة لا يسكنها إلا هو، وتأكدوا من تواجده بها، وانتظروا إلى وقت متأخر من الليل وصعدوا إليه وقاموا بكسر الباب وهجموا عليه... وجدهم أمامه فخرَّ ساكنًا، حملوه بعد أن وضعوه بشوال بالسيارة التي كانت تستقلهم وعادوا به إلى بلابل. أفرغوه من الشوال أمامها، وما أن وجدها أمامه لم يتماسك نفسه فانتابته رعشة سمع على أثرها تخبط أسنانه، وظل على هذا الحال إلى أن وقع مغشيًا عليه، فتركوه إلى أن أفاق، فجذبوه أمامها، فقالت له:

- حمد لله على السلامة يا معلم أطاشة.

- الله يسلمك يا معلمة والله ليكي وحشة، أنا كنت جاي بس كنت بأعمل سبوبة ها تنغنغنا، وحياة غلاوتك عندي ما بكذب عليكي هو أنا ليا مين غيرك؟، بس اتكعبلت شوية في المشوار... طب أحلفلك بإيه؟ طب عليا الطلاق تلاتة كنت راجع راجع، بس الدورار الأخضر أخرّني.

- سمَّعني إنت كنت بتهتف وبتقول إيه؟

- ما خلاص بقى يا معلمة نسيت.

وهنا ناوله "فرج" ضربة بظهره نزلت عليه كالمرزبة، فخرَّ ساجدًا أمامها وظلَّ يردد: "يسقط يسقط حكم بلابل"... سألته:

- مش عاجبك حكم بلابل يا أطوش؟

- عاجبني يا معلمة عاجبني، وسماح علشان خاطر العيش والملح اللي بينا ده إنتي حبي الأول والأخير وغلطة مش ها تتكرر وها اخرج في الحارة وأزعق وأقول: "تحيا تحيا حبيبتي بلابل".

- خلاص يا أطوش إنت بقيت زي سمكة البوري لما ريحتها تفوح، وعارف طبعًا كنا بنعمل إيه زمان لما كنا أنا وإنت بنبيعه على إنه فسيخ.

- فاكر يا معلمة فاكر، بس أنا حبيبك برضه.

ظلَّ أطاشة يقبِّل رجليها ويترجاها أن تصفح عنه، دون جدوى منها.

اختفى أطاشة... ولكن ماذا فعلت به المعلمه بلابل؟

وظلَّ أنصاره يبحثون عنه في كل مكان وخرج أكبر حشد لمليونية بمسمى "أين أطاشة؟" وتناقلت وكالات الأنباء العالمية خبر اختفاء أطاشة ، هناك من قال إنه سافر لأمريكا، وهناك من قال إنه سافر لتركيا.

ولا زالت المليونيات تخرج مليونية تلو الأخرى مناداة بعودة أطاشة.



بالسلامة يا شربات

اهتمت "شربات" بتجارتها، وصرفت النظر عن الزواج مرة أخرى بعد أن أيقنت أن كل من تزوجها كان يطمع في مالها قبل جمالها، وصمَّمت على قرارها دون رجعة فيه... راجت تجارتها وأصبحت من مشاهير تُجَّار الأثاث بالمنطقة لجودة الخامات ورخص الأسعار، كما أنها تبيع بالتقسيط المريح دون فرض فوائد كبيرة.

وذات يوم حضر إليها شخصٌ وسيمٌ ليس من أهل الحي طالبًا تجهيز شقة كاملة من غرفة نوم لسفرة لصالون، علاوة على ثلاجة كبيرة وبوتاجاز وتليفزيون وبعض المستلزمات الأخرى، وعرفت منه أنه سيتزوج ولكنها رأته كبيرًا في السن، فأرادت أن تستطلع الأمر كعادتها، فسألته:

- دي جوازة جديدة بإذن الله؟
- لا والله... أنا أول مرة ها أخش دنيا.
- معقول ! واتأخرت ليه كده؟
- النصيب، أصل كنت عايش برة.
- ولا مؤاخذة هو سنك كام؟

- خمسين.

- وعروستك سنها كام؟

- خمسة وتلاتين.

- وسيادتك بتشتغل إيه؟

- عندي مكتب مقاولات كبير في الخليج.

صمتت لحظة وسرحت بتفكيرها وقالت:

- بس مين اللي دلك علينا لتشتري من عندنا؟

- أبدًا، أنا كنت في زيارة لأحد أصدقائى وشفت المعرض وسألته فقال إنه أحسن معرض وصاحبته ست ذوق، وفي الحقيقة أنا فعلاً حسيت أن الأسعار كويسة والبضاعة جميلة جدًا ومتينة، فتوكلت على الله وها اشتري نقدًا بس عايزك تكرميني في السعر.

- الحمد لله إن صيتنا مسمع برة الحي، ومن غير ما تقول هتاخد خصم علشان تشريفك لينا، وربنا يتمم بخير بإذن الله.

- وعقبال أولادك.

- هو ولد واحد اسمه "زين" وجوّزته من سنتين، هو اللي في الصورة دي مع عروسته.

- بسم الله ما شاء الله ، يبقى عقبال ما تفرحي بأحفادك.

ناولها "طارق الزنكلوني" قيمة ما اشتراه واتفق معها على أنه سوف يستلم ما اشتراه بعد شهر، وغادر المعرض بعد أن أكَّد معها الميعاد.

مرَّ الشهر ولم يحضر... ومرَّ أسبوعٌ آخر... لم تشغل بالها فلعله لم ينتهِ من تشطيب شقته...

رنَّ جرس التليفون بالمعرض ، ردَّت وكان هو المتحدث:

- ألو... الحاجة شربات؟

- أيوه... حضرتك مين؟

- طارق الزنكلوني.

- أهلاً أهلاً يا باشمهندس أنا انتظرتك... خير إنشاء الله؟

- خير ومش خير... الجوازة اتفركشت.

- لا حول ولا قوة إلا بالله... معلهش كل شيء قسمة ونصيب.

- ونعمة بالله... أنا ليا طلب عندك يا حاجة شربات.

- أأمر يا باشمهندس.

- أنا طبعًا مش ها أقدر آخد الحاجات اللي اشترتها علشان مضطر أسافر النهاردة ، خليها عندك لما أرجع ، يمكن ألاقي بنت الحلال، أو بيعي الحاجة لو كان ده ما يسببش أي مضايقة ليكي وخلي الفلوس معاكي لما أرجع، ولو كان في خسارة اخصميها وأنا راضي عن أي مبلغ يُخصم.

- لا مفيش خسارة ولا حاجة، ولكن ممكن تبعت أي حد من معارفك يتفضل يآخد الفلوس.

- لأ ، خلي الفلوس لما أرجع ها تزيد مش ها تنقص.

- ماشي يا باشمهندس، وربنا يوفقك.

مرَّ أكثر من شهرين... وذهب طارق الزنكلوني لمقابلة شربات التي رحبت به، وبعد أن ضايفته سألته:

- العروسة حظها وحش ومش هتلاقي زيك.

- والله أنا مش عارف مين اللي حظه وحش؛ أنا ولا هي؟

- عمومًا ما تعرفش الخير فين، وربنا يرزقك ببنت الحلال.

- أنا صرفت نظر خلاص عن الزواج.

- ليه؟ ده حتى حرام عليك تقضي بقية عمرك عازب.

- حياة العزوبية فعلاً صعبة، ولكن أعمل إيه؟

- البنات كتير، ودوَّر تاني على عروسة تكون حلوة وكويسة.

- أنا عايز واحدة تكون محترمة؛ مش مهم السن، عايز واحدة تعيش معايا، وأنا والحمد لله معايا فلوس كتيرة وها أخليها تعيش ملكة.

تنهدت شربات وصمتت للحظات وبادرته قائلة:

- الفلوس مش كل حاجة في الدنيا، المهم الألفة والمودة .

- كلامك صح ولكن برضه الفلوس عامل أساسي، وعموما أنا ها أسيب ليكي موضوع العروسة، ولكن بشرط...

- إيه هو الشرط يا باشمهندس؟

- تكون زيك تمامًا، يعني صورة طبق الأصل.

- يااااه يا ريت كنت قدمت من كام سنة، كان ممكن النصيب يحكم.

- أعمل إيه؟ ده من حظي الوحش.
- على فكرة، من يوم ما مات جوزي الله يرحمه وأنا ما فكرتش في الجواز أبدًا.
- ليه؟ ده إنتي لسه صغيرة وألف واحد يتمناكي.
- مش أي حد يعجبني ويملي عيني، والكل طمعان.
- شوفي يا حاجة شربات، أنا أُعجبت بيكي علشان إنتي ست محترمة؛ مش علشان فلوسك؛ ولو اتفقنا، فلوسك ليكي ولابنك بس، أنا مش محتاج فلوس، بس نقدر نصرف اللي معايا بصحتنا.

تغيَّر حال شربات، فمالت لكلام الزنكلوني، وأعجبت به... وظلا يتحدثان عن حياتهما، واتفقا على أن يكون هناك ميعاد في القريب العاجل للاتفاق على كل التفاصيل ولكي تخبر ابنها أيضًا.

وانصرف طارق الزنكلوني... وجلست شربات سارحة بخيالها في هذا اللقاء الذي تمَّ من غير تدبير... استدعت ابنها زين الذي جاء على عجل، وما أن قابلها قال:

- خير يا حاجة شغلتيني؟
- إنت وحشتني قلت أشوفك.
- ما أنا كنت معاكي أمبارح.
- برضه وحشتني، إزي عيالك ومراتك؟
- كويسين، طمنيني مالك يا حاجة؟ شكلك مش عاجبني.

وقصَّت عليه ما حدث وقرارها بالزواج، فاندهش وقال:

- يا حاجة إنتي عايزة مشاكل تاني؟

- هو الجواز مشاكل؟

- مش قصدي، إنتي عارفة أنا أقصد إيه.

- الراجل محترم ومقتدر ومش طمعان، وعارف ربنا كويس.

- وإنتي عرفتي منين كل ده؟

- من سماحة وشه ودقنه الكبيرة والسبحة اللي في إيده، ولو كان طمعان هو عرف منين إني مش متجوزة ؟، ده غريب عن الحي، والراجل أمِّني على مبلغ كبير بعد ما اتفركشت جوازته... لا يا زين، شكك مش في محله.

- يا حاجة إنتي ما تعرفيش عنه حاجة، طب نسأل عنه.

- هو بيشتغل في الخليج وقاعد هناك على طول وما عندهوش قرايب في مصر، أبوه وأمه ميتين وله أخت واحدة متجوزة وقاعدة في بلاد برة.

- يا حاجة ها تتجوزي واحد غامض؟

- شوف يا ابني، إنت ها تقعد معاه يوم الجمعة الجاية وها تشوفه، وبعدين تحكم عليه.

- ماشي يا حاجة، بس ها ترضي بحكمي؟

- لو حكمك معقول ها أسمع كلامك وأصرف نظر.

جاء يوم الجمعة... وحضر طارق الزنكلوني بمنزل شربات ورحب به ابنها زين وأعجب به وأشار لوالدته بالموافقة...

وتزوجت شربات من طارق الزنكلوني بأحد فنادق الغردقة وقضيا أسبوعًا هناك... وعادت شربات بصحبة زوجها طارق بعدما جاءته مكالمة على تليفونه المحمول بوجود مشكلة في العمل تستلزم منه السفر للخليج بصورة عاجلة... وقبل أن يغادر ناولها مبلغًا من المال، فلمَّا سألته أخبرها بأنه لزوم مصاريفها لحين عودته، شعرت شربات بالسعادة البالغة لتصرفه بهذا الشكل...

ومرَّ شهر، وعاد طارق الزنكلوني إليها محملاً ببعض الهدايا لها ولابنها؛ وهذا في حد ذاته جعلها في غاية السرور، سألته عن أحوال عمله:

- يا ترى حليت المشكلة اللي سافرت علشانها وخدتك مني في شهر العسل لدرجة إنك ما تكلمنيش ولا مرة في التليفون؟
- أنا آسف جدًا جدًا، المشكلة كانت كبيرة وليل نهار بأحل فيها والحمد لله أخيرًا اتحلت، بس أنا قرَّرت أسيب الخليج وأروح مكان تاني.
- حد يسيب الخليج اللي كله فلوس؟.. ده كل شباب الحتة باعوا اللي وراهم وقدامهم علشان يسافروا ويشتغلوا هناك.

- الدنيا اتقلبت والخليج ما بقاش زي الأول... تصدقي أنا مداين الدولة هناك بحوالي تلاتة مليون دولار بواقى شغل من سنتين.

- معقولة ! تلاتة مليون دولار ورق أخضر ؟

- أي والله، وزهقت خلاص، أنا ها أسافر الأسبوع الجاي للصومال.

- الصومال! معقولة! علشان إيه؟

- الصومال كلها خيرات، والمستقبل فيها، والشغل هناك على ودنه والناس بتدفع أول بأول ونويت بإذن الله أفتح شركة هناك.

نظرت إليه باستغراب وابتسمت وقالت:

- حد يسيب الخليج ويروح يعمل مشروع في الصومال ؟ اللي أعرفه من نشرة الأخبار في التليفزيون إن الصومال فيها مجاعة وبأشوف الأطفال وهي بتموت.

- الكلام ده كان زمان، أمريكا والبلاد الأوربية دلقت فيها فلوس تدفن بحر، أنا أصحابي هناك من سنة واحدة، دلوقتي ما شاء الله عملوا زيادة عن خمسة مليون دولار... ولو نمت؛ غيري ها يسبق ويلهف الورق الأخضر كله.

سكتت شربات، ولكنها اقتنعت بكلامه...

وغادر للصومال، وعاد بعد أسبوع، ولكنه على غير عادته؛ فقد جلس شارد الذهن، فلما سألته عن سبب ذلك قال:

- يا ريت كنت سمعت كلام منصور ومتولي.

- ومين منصور ومتولي؟.
- دول أصحابي وكانوا معايا في الخليج وراحوا الصومال ، دول اللي كلمتك عليهم.
- وإيه المشكلة؟.
- المشكلة دلوقتي في الصوماليين، لما الطلب زاد من رجال الأعمال لفتح شركات هناك اتبغددوا وطالبين ضمانات بنكية.
- يعني إيه؟
- يعني عايزين فلوس تتحط زي الوديعة في أحد بنوك الصومال ضمان يعني.
- وقد إيه الفلوس دي؟
- حوالى اتنين مليون دولار علشان آخد شغل بعشرة مليون دولار.
- والشغل اللي بعشرة مليون دولار ها يكسبك قد إيه؟
- بعون الله وتوفيقه من أربعة لستة مليون دولار، وبالمصري يجيبوا تلاتين أرنب.
- ولا مؤاخذة يعني لامؤاخذة، إنت معاك كام دلوقت؟
- أنا كان معايا أربعة مليون دولار حليت المشكلة اللي سافرت علشانها ودفعت منهم اتنين مليون، واللي فاضل اتنين.
- كويس ، ما تحطهم ضمان في البنك هناك.

- وبعدين أقعد من غير فلوس ؟ إزاي أجهز شركة وأشتري معدات وأدفع أجور عمال وموظفين وكمان أجهِّز شقة نقعد فيها أنا وإنتي.

شهقت شربات وضربت بيدها على صدرها وقالت:

- هو إنت ناوي تقعد هناك على طول؟

- على الأقل سنة لغاية لما الأمور تمشي ، هو إنتى مش ناوية تسافري معايا ولا إيه؟

- والمعرض بتاعي؟ وأكل عيشي؟

- معرض إيه اللي يخليكي تسيبي النعيم اللي إحنا ها نعيش فيه؟

- بس برضه المعرض كبير ومشهور ودخله كويس جدًا.

- عمومًا فكّري، عايزة تقعدي في مصر وتجيلي كل شهر؛ مافيش مانع ها أسيب لك فلوس تصرفي منها وتقطعي تذكرة السفر لما تحبي تيجي.

- ويهون عليك تسبني لوحدي؟

- ما هو إنتي اللي عايزه كده.

- والحل إيه؟

- الحل في إيدك إنتي، ولو عايزة نصيحتي تبيعي المعرض ونشارك بعض، هو تقريبًا يجيب كام؟

- بالبضاعة اللي فيه يجيب حوالي مليون ونص.

- بس؟... وعندك فلوس سايلة في البنك قد إيه؟

- حوالي خمسميت ألف.

- يعني كله على بعضه حوالى اتنين مليون، معقول وكويس جدًا.

- بس ده قرار صعب.

- هو أنا قلت ليكي من بكره تبيعي، فكرِّي كويس وإنتي صاحبة القرار.

انزوت شربات في ركن على كنبة الصالون ووضعت يدها على خدها وسكتت ، نظر إليها وقال:

- عمومًا أنا إن شاء الله مسافر بكرة إسكندرية لأحد أصدقائي ها أتكلم معاه يمكن يشاركني.

جاء الصباح استيقظت شربات فوجدته مرتديا ملابسه فسألته:

- ناويت تسافر إسكندرية؟.

- بإذن الله، وها أرجع بالليل.

وقفت شربات مترددة، لاحظ هو ذلك فسألها:

- شايفك قلقانة ، خير في حاجة شغلاكي؟

- أيوه ، طول الليل بأفكر في كلامك.

- وطلعتي بإيه؟

- بصراحة أنا خايفة على شقى عمري يضيع في لحظة.

ابتسم واقترب ناحيتها وضمها في صدره بحنان، وقال:

- هو حد طلب منك تضيعيه؟

- أنا أقصد ، لا قدر الله لو الشركة فشلت.
- لو كانت الشركة في مصر كنت قلت كلامك مظبوط، ولكن في الصومال أي حاجة بتمشي هناك... تصدقي بالله أنا شفت هناك عيلين من مصر بيبيعوا سندوتشات فول وطعمية ولما سألتهم بتكسبوا كام في اليوم قالوا بالمصري حوالى خمسميت جنيه، وتقولي شركة تفشل ؟!.
- يعني إنت متأكد ؟
- يعني أنا غاوي أخسر فلوسي ؟ مش كفاية اللي خسرته في الخليج.

رضخت شربات لرغبة زوجها طارق الزنكلوني وباعت المعرض بمحتوياته وسحبت كل رصيدها بالبنك؛ رغم اعتراض ابنها زين، ولكنها أقنعته... وحتى تأخذ الشركة الشكل القانوني ولتطمئن شربات على فلوسها قرَّر طارق الزنكلوني أن يتم توقيع عقد الشركة في احتفال صغير بأحد الكازينوهات التي تطل على النيل وفى حضور ابنها زين، وقد حضرالأستاذ منسي البلبيسي المحامي وبرفقته السيد "إدريسا تراوري" من غرفة التجارة والصناعة الصومالية والسيدة "دولامين أجوجو" عن بنك "تي إن صوماليز" والسيد "مامادو يكيني" الملحق التجاري بمصر.

سلَّمت شربات المبلغ لطارق الزنكلونى لتحويله لبنك "تي إن صوماليز" واستخرج لها جواز سفر وسافرت معه إلى الصومال

وأقاما بأحد فنادق مقديشيو العاصمة... صباحًا يخرج طارق الزنكلوني ليتابع إجراءات تسجيل الشركة ويبحث عن مكان يؤجره يصلح مقرًا للشركة، وفي المساء يتجول هو وشربات بالمدينة...

وذات صباح خرج كعادته ولم يعد حتى المساء... انشغلت عليه، احتارت ماذا تفعل، نزلت لاستعلامات الفندق لعلها تستطيع أن تعرف سببًا لتأخره، لكنها لم تحصل على أية معلومات تطمئنها، أقنعت نفسها بأنه قد يكون مع أحد رجال الأعمال... صعدت لغرفتها، قاربت الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل ولم يأتِ بعد، نزلت لاستعلامات الفندق مرة أخرى، نصحها مدير الفندق بالانتظار حتى الصباح... لم يغمض لها جفن، هواجسها تأخذها هنا وهناك، وما أن جاء الصباح اتصل مدير الفندق بالشرطة التي أفادت بعد مرور ما يقرب من الساعتين بأنه قد غادر الصومال ظهر أمس متجهًا إلى تركيا، وما أن علمت بذلك جلست في مكانها صامتة، شاردة الذهن، سقطت مغشيًا عليها... تمَّ نقلها إلى المستشفى التي أبلغت السفارة المصرية والتي قامت بدورها بترحيلها إلى مصر وهي في حالة يُرثى لها.

• • •

استلقت على السرير بمنزل ابنها، عاد إليها وعيها، طلبت من ابنها إحضار صورة العقد وصورة البطاقة الشخصية الخاصة بزوجها، تحاملت على نفسها وذهبت مع ابنها لقسم الشرطة، حكت ما حدث لها، حرَّرت محضر بالواقعة واتهمت فيه زوجها طارق الزنكلوني بالنصب عليها، حُوِّل المحضر للنيابة التي طلبت تحريات المباحث عن المدعو طارق الزنكلوني، جاء رد المباحث بأن المدعو طارق حسين سالم الزنكلوني متوفى منذ خمس سنوات والصورة الموجودة ببطاقة المذكور المرفقة بالمحضر ليست صورة طارق حسين سالم الزنكلوني وهي لشخص آخر جاري البحث عنه.

استدعاها وكيل النيابة وأبلغها بنتيجة تحريات المباحث ، خارت قواها، أسندها ابنها بصعوبة بالغة، عادت معه لمنزله، ظلت تبكي بحرقة وتلطم خديها... قالت لابنها:

- ضحك عليا الزنكلونى ابن الكلب، بس إزاي؟ والدقن والسبحة اللي في إيده كله كان أونطة؟ ده كان معاه وإحنا بنمضي العقد اتنين صوماليين وشابة صغيرة وشكلهم ناس محترمين، دول ما نطقوش بكلمة واحدة كانوا بيبتسموا وبس، هما كان اسمهم إيه يا ابني؟.

- مامادو يكينى وإدريسا تراورى والبت اسمها دولامين أجوجو.

- أيوه هما دول اسم الله عليك إنت حافظ أساميهم، والبوليس ما سألش عنهم في سفارة الصومال ليه؟.
- البوليس سأل عنهم في السفارة طلع ما فيش حد من الصوماليين الموجودين في مصر بالأسماء دي.
- أمال دول منين؟ دا كان شكلهم صومالى زي اللي بأشوفهم في التليفزيون.
- الظابط قال لي تلاقيه كان مأجرهم من عند جراج العتبة.
- وهو جراج العتبة جنب الصومال؟

ظلَّت شربات تبكي إلى أن غلبها النعاس، فنامت... واستيقظت فجأة ونادت على ابنها وقالت له:

- الملعوب ده فيه ريحة سعدية عرندس، أيوه ما فيش غيرها والنبي أنا حاسة أن هي اللي خططت للملعوب ده.
- يا حاجة، سعدية فين دلوقت؟ دي في مستشفى المجانين، ولا تلاقيها ماتت وشبعت موت.
- ممكن يكون عفريتها هو اللي عمل كده، أنا عارفاها قادرة ومتغاظة وما تحبش تسيب تارها.
- يا حاجة صلِّي على النبي، البوليس ها يجيبه من تحت الأرض.
- أرض إيه يا ابني؟ لما هو ما طلعش طارق الزنكلونى ها يكون مين؟
- أهدي واستريحي وبإذن الله ها ترجع لك فلوسك.

- أهدأ إزاي؟ شقى عمري راح في أسبوع ، قال إيه الصومال أحسن من الخليج، أقوله دي مليانة مجاعة يقول أمريكا دلقت فيها الملايين... والمباحث جابت المحامي اللي اسمه منسى البلبيسى؟

- طلع ما فيش محامي بالاسم ده، كان مأجره برضه.

- يا خراب بيتك يا شربات حتى المحامي طلع كمان مأجره من جراج العتبة، طيب والشنطة اللي معاه والورق اللي طلعه منها وابصمي يا حاجة وتوقيعك يا أخ زين جنب الحاجة، ونقرا الفاتحة ويستأذن لصلاة العشا، هو والنصاب ابن الكلب الزنكلونى، تلاقيهم لا راحوا يصلوا ولا يحزنون، يا ولاد الأبالسة ضحكتم عليا وأنا اللي كنت بأضحك على العفريت.

- كانت تمثلية ولعبوها كويس وانضحك علينا يا حاجة، بس وحياتك ها أدور عليه حتى ولو سافرت له تركيا.

كل صباح يخرج زين ويذهب لجراج العتبة ليبحث عن مامادو أو إدريسا وسط هذا الكم الهائل من ذوي البشرة السوداء المتكدس أسفل الجراج وخارجه، والذي امتد زحفه ليحتل رقعة كبيرة بالمنطقة، الكل يفترش الأرض؛ منهم من يبيع الساعات المختلفة والغريبة الأشكال، وآخرون يبيعون التوابل بأنواعها المختلفة والأعشاب الشافية من الأمراض أو الخلطات الغريبة مثل مطحون عظام النمل للشفاء من مرض السكر، أو هريسة دم

النسناس لآلام المفاصل، ومنهم المتخصص في بيع المستلزمات الدافعة للفحولة كدهن الخرتيت ودهان حصان عنتر وعرق هيرقل علاوة على لبان نانسي لمن تريده من السيدات.

تعب زين من هذا المشوار اليومي، فلا فائدة من البحث فالوجوه كلها لامعة داكنة السواد والأجسام كلها متشابهة طولاً ورُفعًا، حتى رائحة العرق التي تنبعث منهم واحدة... وعندما كان يسأل تكون الإجابة واحدة من الجميع: "أنا لا أفهم ماذا تريد".

ذهب إلى نقابة المحامين ليستفسر عن اسم "منسي البلبيسي" فلم يجد محاميًا بهذا الاسم مسجل بالنقابة... ذهب إلى مدينة بلبيس لعله يجد شخصًا بهذا الاسم؛ فلم يجد... تعب فقرر أن يكف عن البحث، وترك للمباحث مهمة العثور على طارق الزنكلوني.

ومرَّت شهور ولا يوجد جديد، فكلما كان يذهب لضابط المباحث يستقبله بابتسامة رقيقة ويلحقه بعبارة: "جاري البحث والتحري وشد حيلك مسيره ها يقع".

شربات لا تنام الليل والنهار تدهورت صحتها وضعف جسدها لم يجدِ معها دواء، لا تتكلم مع أحد، شاردة الذهن... نقلها ابنها للمستشفى، راحت في غيبوبة طويلة...
ماتت شربات عزوز العتراوي.

جمعٌ غفيرٌ من أهل الحي خرج لوداعها، معظم سيدات الحي خرجن وراء نعشها حتى مثواه الأخير، الكل يبكي فراقها ويعدِّد حسناتها.

دُفنت شربات وذهب الجميع... إلا هذه المرأة المنتقبة؛ لا زالت واقفة أمام القبر... إنها تتلفت يمينًا ويسارًا... لقد أزاحت من على وجهها النقاب... صاحت:

- "بالسلامة يا حبيبتي، بالسلامة يا شربات"...

يا لها من مفاجأة...

إنها سعدية عرندس !.



المؤلف في سطور

- عادل محمد عبد الله إدريس المسلمي
- كاتب ساخر وقصاص مصري، من مواليد عام ١٩٥٢م
- حاصل على بكالوريوس التجارة ودبلوم الدراسات العليا من جامعة القاهرة
- اختتم حياته العملية رئيس قطاع بإحدى شركات قطاع الأعمال.
- صاحب مدونة " مدونة أستبوليا كافيه"
- المؤلفات :

ـ دقشوم : رواية

ـ غواص في بحر الأذى

ـ لا.. يا من كنت

ـ حدث في كفر زلابيا

ـ أني عائد من هناك

ـ الرقص بدون طبلة

ـ شطحات وآهات : زجل

ـ السهراية : زجل

ـ اتفرج يا سلام : قصص قصيرة من الأدب الساخر

شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٣م

ـ حارة طحيمر "حكايات مرداش العايق": قصص ساخرة

شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٤م

ـ البريد الإلكتروني : edris_adel@yahoo.com

الفهـرس



(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net